التحليل السوسيولوجي للبيانات الكمية في البحوث الاجتماعية

Sociological analysis of quantitative data in social researchsize

الصالح منسول[1]، رزقي قويجيل[2]

[1] جامعة لونيسي علي البليدة 2، es.mansoul@univ-blida2.dz

[2] جامعة قاصدي مرباح ورقلة، razki1goudjil@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/07 تاريخ القبول: 2022/06/17 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

باعتبار المنهجية هي مجموعة من الخطوات الكيفية والامبريقية التي يوظفها الباحث فيبحثه بغية الوصول إلى حقيقة ما، وهاته الأخيرة (الخطوات) تشكل سلسلة مرتبطة لا يمكن فصلها عن بعض، وضمن الدراسات الإنسانية الاجتماعية، تتمثل أهم خطوة في الدراسة هي التحليل الكيفي للبيانات الكمية وإعطائها مدلولها السوسيولوجي الذي توصل الباحث إلى فهم الواقع الظاهرة غير ذلك تبقى البيانات الكمية لا أساس لها من الأهمية.

لهذه فإن أغلب أوكل الرؤى حول هذه الخطوة طريقة ثنائية يمكن من خلالها تحليل البيانات المذكورة، وضمن ورقات هذه المداخلة سنركز على أهم هذه الطرق وأهميتها في التحليل السوسيولوجي لبيانات البحث الكمية.

كلمات مفتاحية: المنهجية ؛ التحليل. الكمي؛ التحليل .الكيفي؛ التحليل السوسيولوجي؛ المقاربة النظرية.

Abstract:

As the methodology is a set of qualitative and empirical steps that the researcher employs in his research in order to reach a truth, and these last (steps) form a coherent series that cannot be separated from each other, and within the human and social studies, the most important step in the study is the qualitative analysis of quantitative data and giving it its meaning The sociologist who reached the researcher's understanding of the reality of the phenomenon other than that, these quantitative data remain unfounded and unfounded.

Therefore .most of the visions about this step have identified a binary method through which the aforementioned data can be analyzed, and within the papers of this intervention we will focus on the most important of these methods and their importance in Sociological analysis of quantitative research data.

Keywords: Methodology; quantitative analysis; qualitative analysis; sociological analysis; theoretical approach.

* **المؤلف المرسل**: الصالح منسول، **الإيميل**: Mansoulsalahedine19@gmail.com

1. مقدمة:

إن البحث الاجتماعي هو تفسير لمعنى الأفعال الاجتماعية التي تشكل في محصلتها ظواهر اجتماعية، لذا فالبحث العلمي أسس وفق مجموعة من الخطوات جمعت بين الخطوات النظرية والإمبريقية وهنا تكمن مهمة الباحث في علم الاجتماع، حيث ذكر آلان تورين "Alain Tourain" أنه لا بد من الجمع بين النظري والميداني حيث يذكر" أعتقد أن عالم الاجتماع لا يمكن أن يفكر إلا بدءا من الميدان الذي يدرسه والحساسية المفرطة تجاه القطيعة بين العمل الميداني والتأمل النظري". (زعيمي و مراد، 2017، صفحة 476)

فالبحث الميداني كما هو معلوم يقتضي أدوات لجمع البيانات والقيام بالعمليات الإحصائية المناسبة لها، غير أن لغة الرقم تبقى من دون أهمية وناقصة مالم نحللها كيفيا لإعطائها دلالات ومعاني لكشف الظاهرة وأبعادها محل الدراسة، لذا نلجأ إلى خطوة التحليل السوسيولوجي في بحوثنا الاجتماعية حيث نقوم بالاستدلال والبرهنة عليها سوسيولوجيا، من خلال الدراسات السابقة والكشف عن مدى الاتفاق والاختلاف بين الموضوع البحث ودراساته السابقة من جهة، إضافة الى التحليل المقارباتي الذي يستدعي تطبيق تلك النظريات والبراديغمات البحثية والاستدلال والبرهنة بها على نتائجنا الإمبريقية.

2. علم الاجتماع النظري وعلم الاجتماع التطبيقي:

قبل الحديث عن التحليل السوسيولوجي معنى وممارسة لابد من التفريق بين علم الاجتماع النظري والتطبيقي، والتكامل بينهما، حيث نجد أن علم الاجتماع النظري يهتم بتطوير النظريات السوسيولوجية في مختلف التخصصات التي تمكننا من فهم الظواهر موضوع الدراسة، وتحليلها وتفسيرها ومعرفة القوانين التي تحكمها، كما يهتم بتطوير المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه النظريات والتي على أساسها تبنى عملية التحليل والتفسير. (لراري، 2021، صفحة 6)

فالنظريات السوسيولوجية هي نماذج فكرية حاكت الواقع وفسرت مختلف ظواهره وأحداثه، ومع التطورات الحاصلة في المجتمعات تم نقد النظريات السابقة وبناء نظريات حديثة، وبالتالي بناء مفاهيم جديدة يمكن من خلالها إيضاح معنى ومبنى الأحداث وتعقيداتها. حيث نجد ما قاله جوناثان تور**نار** "j.turner" بأن علم الاجتماع النظري يجب عليه أن يقدم مفاهيم اجتماعية تسمح لعلماء الاجتماع بوصف العمليات الاجتماعية المهمة- على الأقل لبعض الوقت- حتى تتغير هذه العمليات بشكل أساسي ...". (الشمري، 2014، صفحة 2)

أما علم الاجتماع التطبيقي فيهتم بالدراسات الإمبريقية لمختلف الظواهر، التي تثير اهتمام الباحثين في مختلف المجالات، فهو يعتمد على تلك الطرق الإجرائية بداية ببناء الاشكالية وفرضياتها والتحقق من صحتهم عن طريق بناء نموذج التحليل ومنهج معين وصولا إلى استخلاص النتائج.

3. التحليل السوسيولوجي، الماهية والدلالات المعرفية:

حسب ما أورده الباحث ناصر قاسيمي" التحليل السوسيولوجي هو عملية تركيبية لمختلف أبعاد الظاهرة النظرية والامبريقية، فهو عملية شرح لمختلف أبعادها وأسبابها وانعكاساتها وتهدف إلى البحث بكل موضوعية عن الأسباب الخفية للظاهرة تلك التي لا يراها إلى المختصون ويكون التحليل السوسيولوجي نظريا كيفيا أو تجريبيا كميا أو يجمع بين النوعين، كما يمكن أن يكتفي الباحث بوصف حالات واقعية كما وردت في الواقع الذي عبر عنه المبحوثين كما يعيشونه في حياتهم اليومية. (قاسيمي، 2017، صفحة 9)

فالتحليل السوسيولوجي هو تجزئة الكل إلى مكوناته البسيطة في مقابل التركيب الذي يعني إعادة بناء الأجزاء في شكلها الكلي للكشف عن العلاقات القائمة بين أجزاء الظاهرة المكونة لها والظواهر التي تسببت في نشوئها حيث ذكر ايميل دوركايم "Emil Durkheim" أنه: لا يمكن دراسة ظاهرة اجتماعية إلا من خلال ارتباطها بظاهرة اجتماعية أخرى تفسرها (زاد، 2020، صفحة 225)، وهذه خاصية العلوم الاجتماعية ومهمة عالم الاجتماع هو الكشف عن هذا الترابط والعلاقات بطريقتي التحليل الكمي والكيفي.

إن التحليل السوسيولوجي يستحضر في مقدمته التأسيس لعملية الفهم الذي يعتبره ماكس فيبر "Max Weber" هو قدرة الباحث على فهم الظواهر الاجتماعية التي هو بصدد دراستها، لأن الظواهر في اعتباره هي أفعال اجتماعية لذا وجب إضفاء المعنى عليها حيث يقول" الفهم هو فهم المعاني التي يضفيها الأفراد على الظواهر الاجتماعية وأثر تلك المعاني على أفعالهم". (تشيرتون و وان، 2012، صفحة 97)

ولعل ما ذكره ماكس فيبر يتفق مع ذكره ريمون بودون "Rimon Bodon" في منهجه الفردانية المنهجية حيث ذكر طريقتين مترابطتين من خلالهما يمكن من خلالهما تفسير الظاهرة الاجتماعية: حيث تتمثل الأولى في مرحلة تفسير تثبت من خلالها أن الظواهر الاجتماعية هي محصلة لأفعال اجتماعية، في حين تكمن الثانية في ادراك معنى هذه الأفعال، أي الكشف عن الأسباب التي دعت الفاعلين للقيام بهذه الأفعال. (زاد، 2020، صفحة 233)

4. التحليل بين المنهج الكمي والكيفي:

استنادا إلى ما ذكرته مادلين غراويتز" أن أصل البيانات الكمية هو كيفي" (غراويتز، 1993، صفحة 42) أي أن أساس البيانات الكمية المتوصل إليها عن طريق أدوات جمع البيانات الكمية كالاستبيان والمقابلة، هي كيفي من خلال تلك الفرضيات والتساؤلات التي انطلق منها الباحث لأجل اختبارها والتحقق منها، فالمنهج الكمي حسب موريس أنجرس ببساطة هو "قياس الظواهر" (نفوسي، 2015، صفحة 42)، فالغرض الأساسي من استخدام المنهج الكمي هو الحصول على حقائق تبين وتكشف العلاقة بين عدة متغيرات بطرق رياضية إحصائية، وجب تحديدها تحت مسمى المعاملات الإحصائية التي تتطلبها كل دراسة أو بحث انطلاقا من فرضياتها المعتمدة.

في حين المنهج الكيفي هو "المنهج الذي يهدف أساسا إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة، بحصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها" (نفوسي، 2015، صفحة 43)، فالقصد من تلك الأقوال هي إجابات الحالات التي قام عليها البحث والتي من خلالها يكشف الباحث عن أبعاد الظاهرة المدروسة كمثال على ذلك:

– المرأة المقاولة في الجزائر (دراسة حالة النساء المقاولات في ولاية بسكرة)

أو من جهة أخرى تحليل محتوى أو مضمون لظاهرة ما من خلال تجميع لتلك العبارات التي تكررت وجمعها في فئات وتحليلها كيفيا مثال على ذلك:

– القيم الدينية في كتب التربية الإسلامية (تحليل محتوى كتاب التربية الإسلامية للسنة الخامسة ابتدائي)، حيث يتم جمع تلك القيم في فئات كـ (قيم التسامح، قيم الإخلاص) ثم تحليلها كيفيا.

لكن في الدراسات الإنسانية والاجتماعية يعتبر التحليل الكمي والكيفي مكملان لبعضهما البعض نظرا لطبيعة الظواهر الاجتماعية التي تتطلب القياس، لأجل الوقوف ومعرفة أسبابها وأثارها، فلغة الرقم الإحصائي تبقى لغة فقيرة للقيمة والدلالة المعرفية دون تحليل معناها كيفيا، ولعل هذه المرحلة ما أسماها ريمون كيفي بمرحلة التأويل والاستدلال السوسيولوجي (خاصة بالبحوث الاجتماعية) وهذا ما سنتطرق له في عنصر أبعاد التحليل.

5. طرق التحليل السوسيولوجي للبيانات الكمية:

تعددت طرق التحليل والإثبات العلمي للنتائج المتوصل إليها من طرف الباحث لذا لا بد له من مزج طرق التحليل لأجل موضوعية النتائج ودقتها نسبيا وإمكانية تعميمها، والطرق التي سنعالجها تعتمد بالأساس على خيال الباحث العلمي السوسيولوجي في طيفية التناول والطرح والممارسة والربط والإثبات والتدليل أو الاستعانة بها في تفسير نتائجه وهذا ما نعبر غالبا بالانفتاح السوسيولوجي للباحث من خلال اطلاعه على المكتسبات البحثية التي تؤهله لربط تلك النتائج التي توصل لها وإعطائها دلالتها السوسيولوجية من مختلف أبعادها.

1.5. التحليل وفق الدراسات السابقة:

لا بد من معرفة معنى الدراسات السابقة لأن الإرث الذي كتب حول هذا الموضوع قليل وغامض ونظرا لأهميتها المعرفية في توجيه الباحث لأجل انطلاقة بحثية صحيحة، فالدراسات السابقة حسب الباحث فضيل دليو "هي تلك الدراسات التي تناولت متغيرا أو متغيرين من دراستنا مع الاختلاف الزمني

والمكاني بينهما" (دليو، 2014، صفحة 23) (بتصرف)، فالباحث في تعريفه للدراسات السابقة يخص كل تلك الدراسات التي لها علاقة بمتغيرات الدراسة الحالية سواء كانت دراسات مطابقة أم مشابهة.

فالدراسات المطابقة هي الدراسات الحاملة لنفس العنوان الحالي بمتغيراته مع الاختلاف في زمان ومكان الدراسة الميدانية؛ أما الدراسات المشابهة وهي الدراسات التي تتشابه في متغير من متغيرات الدراسة (المستقل أم التابع).

حيث تكمن أهمية الدراسات السابقة في هيكلة مسار الباحث لأن أصل المعرفة تراكمية، إذ تؤسس البحوث انطلاقا من نقد لبحوث سبقتها وهكذا هي الدراسات السابقة التي يستعين يها الباحث من خلال نتائجها للتأسيس لدراسات حديثة، ويتحاشى تلك الثغرات والأخطاء التي قللت من قيمتها العلمية سواء من حيث البعد المنهجي الإمبريقي أو التأصيل النظري للموضوع، ومنه وجب طرح سؤال كالتالي كيف نحلل نتائجنا البحثية بالاعتماد على الدراسات السابقة؟

من المتفق عليه أن لكل بحث هدف يود الوصول إليه عن طريق تطبيق جملة من الخطوات المنهجية النظرية والتطبيقية، للوصول إلى نتائج موضوعية تعتبر إجابة عن الإشكالية وتحقيق للفرضيات البحثية، وهذا ما يدعونا الى تبنيها في دراستنا الحالية واستخدام نتائجها في التحليل والاستدلال بها في نتائجنا البحثية باتجاه الاتفاق والاختلاف. (أي عند تحليل الباحث لنتائجه ومناقشتها يستعين بنتائج الدراسات السابقة سواء تلك التي اختلفت مع نتيجته أو اتفقت، فيذكر على سبيل المثال، يحلل ثم يذكر... وهذا ما اتفق أو اختلف مع نتيجة الباحث (ة) التي توصلت اليها في دراسته (ذكر النتيجة).

تعددت الأخطاء المنهجية حول هذه الخطوة المهمة في مأسسة عملية البحث، فأهم خطأ هو الاكتفاء بذكر الدراسات السابقة وتصنيفها وتخصيص مكان خاص بها، فمن غير الضروري أن نضع لها عنوان جانبي، ولكن الأهم من هذا كله هو استغلال الدراسات السابقة لأهداف الدراسة الحالية، ونحاول أن نعمل بكل الدراسات التي تم اختيارها كلما دعت الحاجة إليها، فالدراسات السابقة يمكن ذكرها فالإشكالية، والقسم النظري، وفي تحليل الجداول والمقابلات وخصوصا في تحليل النتائج، وذلك بصيغ

مختلفة، كمناقشة هذه الدراسات، وأوجه الاستفادة منها، والمقارنة فيما بينها، ومقارنة نتائجها بنتائج دراستنا ونقدها. (لراري، 2021، صفحة 27)

2.5. التحليل وفق الاقتراب النظري (المقاربة النظرية):

سأشير إلى خطأ محوري وليس فيه جدال منهجي حول هذه الخطوة وهي نقطة ضعف لدى الكثير حول اختيار المقاربة وتوظيفها، فالكثير من الباحثين في مستويات مختلفة يذكر التالي:" لقد اخترنا المقاربة التالية (....)، ويكتفي بذكر اسمها فقط ويذكر أن طبيعة الموضوع فرضت هذه المقاربة، في الحقيقة هذا غير كاف، فلابد على الباحث ذكر سبب اختيار هذه المقاربة دون اخرى؟ وكيف اختارها؟ والأهم كيفية استعمالها والتحليل بها. (لراري، 2021، صفحة 110)

الاقتراب النظري أو المقاربة النظرية هي" أنموذجيات نظرية، مفاهيم مفتاحية، نتائج بحث قيمة، تشكل في مجموعها عالما مألوفا للتفكير عند الباحثين في فترة محددة من تطور تخصص معين " (عنصر، 2010، صفحة 16)، فالمقاربة في ماهيتها هي مفاهيم مفتاحية يستعين بها الباحث في تحليل نتائجه البحثية، وعند ما نقول في النتائج البحثية لا يعني أنها تظهر في النتائج فقط بل وجب ظهورها في كل خطوات البحث من الاشكالية حتى النتائج.

ويقول بارتيلو "Partilo" في هذا الصدد " في الواقع هناك ....عنصر يجب أن يأخذ بعين الاعتبار، وهو ما يسمى حسب المؤلفين مقاربة أو مثالا نموذجيا أو نمطا من الفهم، فيتعلق الأمر بطريقة محددة في بناء موضوع الدراسة نظريا أو اختباريا في الوقت نفسه، بإعطاء الأفضلية لعلاقة معينة أو لبنية تفسيرية" (بولعراس، 2018، صفحة 30)، فالمقاربة البحثية حسب "بارتيلو" هي نموذج للفهم يستدل به الباحث لتفسير موضوعه من خلال تلك المفاهيم المتبناة في الموضوع البحثي على أن المفاهيم نوعان:

* **مفاهيم نسقية:** هي تلك المفاهيم التي يتم تحديدها عن طريق الاستنباط " فهو ليس مستقرءا عن طريق التجربة: يبنى بالاستدلال المجرد من خلال نظرية عامة أو نموذج كتلك المفاهيم المعروفة في علم الاجتماع المشتقة من نظريات كبرى أو صغرى تفسيرية كالنسق، الصراع الطبقي، الاغتراب...، فلهذه المفاهيم أطر نظرية معروفة وهذا ما يستخدم بكثرة في حقل علم الاجتماع.

* **المفاهيم الإجرائية أو المعزولة:** "وهو المفهوم الإمبريقي المبني انطلاقا من ملاحظات مباشرة أو معلومات مجمعة من طرف أخرين". (نفوسي، 2015، صفحة 106).

مع العلم أن المقاربات النظرية أنواع فتوجد مقاربات كبرى ماكروسوسيولوجية: وهي تلك المقاربات الكبرى وبالرجوع إلى حقل علم الاجتماع توجد (المقاربة الوظيفية- الصراعية- الثقافية- التاريخية- التفاعلية الرمزية- الإثنوميثودولوجية)، فهذه الأخيرة هي مقاربات كبرى يمكن الاستدلال بها في علم الاجتماع عموما، أما النوع الثاني من المقاربات فهي المقاربات الميكروسوسيولوجية أو الصغرى الخاصة بكل فرع على حدا، فعلى سبيل المثال في تخصص علم الاجتماع تنظيم وعمل توجد مقاربات فرعية يمكن من خلالها تحليل وتفسير موضوعاتها مثال (مقاربة التحليل الاستراتيجي لميشال كروزي، المقاربة النسقية التقنية لشولتز، أو اتخاذ القرار لسايمون) فكل تخصص فرعي لديه مجموعة من النظريات التي يمكن اعتمادها كمقاربات في تحليل الموضوعات البحثية.

لكن يبقى السؤال المطروح كيف نحلل باستخدام المقاربة؟، إن الطرح الأقرب إلى الصواب والعقلانية في معنى الاستدلال بالمقاربة هو جمع تلك المفاهيم والأقوال النظرية التي تفرد بها رواد النظرية أو المدخل والاستعانة بها في التحليل والاستناد إليها في تحليل ومناقشة نتائج بحثنا فإذا اعتمدنا على المقاربة الوظيفية نستحضر حقيبة مفاهيمها (الوظيفة، التكامل، الاختلال الوظيفي، التوازن، التكيف...) أو مقاربة التحليل الاستراتيجي كذلك (الاستراتيجية، الفاعل، منطقة الشك، اليقين...)، بمعنى أخر تعتمد هذه الطريقة على ما سماه "رايت ميلز" الخيال العلمي للباحث في عملية استحضاره للشواهد والأدلة والبرهنة بها لكي يعطي صفة الدقة والموضوعية في تحليله لأبعاد الظاهرة البحثية، لأن الظاهرة الاجتماعية تدرس في سياق متعدد الأبعاد.

لذا من الأنسب على الباحث معرفة علاقة الظاهرة بأبعادها، على سبيل المثال عند دراسة ظاهرة البطالة أو العنف أو الانحراف لا بد من احاطته بالظاهرة من كل أبعادها كالبعد الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي والتربوي، والثقافي... من الأبعاد التي تحكمت في نشوء الظاهرة وانتشارها.

قد يلجأ الباحث في موضوع بحثي واحد إلى تبني عدة مقاربات (التحليل متعدد المقاربات) شرط أن تكون ذات توجه فكري ونسق معرفي واحد غير متضاد، لأن الموضوع البحثي بالأساس يعمد إلى الكشف عن حقيقة معينة لا عن متناقضات بحثية.

6. خاتمة:

التحليل السوسيولوجي ليس بالمهمة السهلة بالنسبة للباحثين في مختلف المستويات حيث يعتمد بالدرجة على امتلاك خزان معرفي وارث سوسيولوجي هائل يمكن الباحث من عملية الاستدلال والبرهنة على كل خطوة بحثية يحددها، من جهة أخرى يعتمد التحليل على امتلاك مهارة التحليل اللغوي أي تلك اللغة السلسة في عملية توظيف تلك الشواهد والأفكار التي حددها مسبقا في عملية مناقشته وتأويلاته.

وهذه المهارة تعرف بالخيال السوسيولوجي أو سوسيوجيا الفهم والتأويل التي تعني في مجملها" المنهجية المتبعة في محاولة فك الغموض عن أنماط الفعل الاجتماعي التي تعتبر ظواهر اجتماعية في مجملها، ومن جهة ثانية فهم وإدراك كل ما هو قابل للملاحظة والتعرف على الدوافع والأسباب وراء ظهور أفعال بنمط دون آخر.

7. قائمة المراجع:

1. بوزار ربيحة دينا زاد. (ديسمبر ، 2020). التحليل السوسيولوجي في البحوث الاجتماعية . *مجلة سوسيولوجيا*.
2. جاك هارمان، ترجمة عياشي عنصر. (2010). *خطابات علم الإجتماع في النظرية الاجتماعية* . الأردن: دار المسيرة.
3. فضيل دليو. (2014). *مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الانسانية والاجتماعية* . الجزائر: دار هومة.
4. لمياء مرتاض نفوسي. (2015). *ديناميكية البحث في العلوم الانسانية* . الجزائر: دار هومة.
5. مادلين، تر سام عمار غراويتز. (1993). *مناهج العلوم الاجتماعية*. دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف.

6. مراد زعيمي، وموهوب مراد. (2017). موضوع البحث الإجتماعي بالجامعة الجزائرية بين الإقتراب النظري والواقع الإجتماعي. *مجلة آفاق للعلوم، العدد السادس*.

7. ميل تشيرتون، وبراون وان. (2012). *علم الاجتماع النظرية والمنهج*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

8. ناصر قاسيمي. (2017). *التحليل السوسيولوجي نماذج تطبيقية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

9. نور الدين بولعراس. (سبتمبر، 2018). المقاربة السوسيولوجية في البحث الإجتماعي (محاولة امبريقية ميتودولوجية من أجل تجاوز اشكالية الاختيار، العرض والتوظيف. *مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد35* .

10. ناصر قاسيمي، لراري عبد السلام.(2021). المنهجية التطبيقية توجيهات عملية لتحضير رسائل التخرج. الجزائر. دار التل.

11. جوناثان تورنار. تر موضي مطني الشمري.(2014). علم الاجتماع النظري(مقدمة موجزة لإنتي عشرة نظرية اجتماعية). الرياض: مكتبة الملك فهد.